إِرْشَادُ الثِّقَاتِ إِلَى المَنْهَجِ الشَّرْعِيِّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الشُّبُهَاتِ

أ.د. صَالِح بن عَبْدِالعَزِيز بن عُثْمَان سِنْدِي
أُسْتَاذُ العَقِيدَةِ بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

الشّيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أمّا بعدُ:

فهذا تفريغٌ لمقطعٍ من أحدِ دروسِ الشّيخِ:

أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي -حفظه الله تعالى-

❑ **ذَكَرَ فيه الشّيخُ -حفظه الله- ثلاثة مسائل:**

۞ **المسألة الأولى:** تعريفُ الشُّبهةِ وبيانُ خطورتِها.

۞ **المسألة الثانية:** المنهجُ الشّرعيُّ الواجبُ مع الشُّبهاتِ.

۞ **المسألة الثالثة:** حكمُ نشْرِ الشُّبهاتِ وإذاعتِها بين النّاسِ.

وكان ذلك خلال شرحه لكتاب «كشف الشبهات»[1] للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في المجلس الأول بتاريخ ٠٣ جمادى الآخرة سنة ١٤٤١ هـ.

---

[1] مع بعض الإضافات اليسيرة من برنامج وعي، الحلقة ١٨ بعنوان: (المنهج الصحيح في التعامل مع الشبهات).

المَسْأَلَةُ الأُولَى: تَعْرِيفُ الشُّبْهَةِ وَبَيَانُ خُطُورَتِهَا:

قَالَ الشَّيخ صالح بن عبد العزيز سندي – وَفَّقَهُ الله –: الكتابُ اسمُه «كشف الشبهات».

➢ وَالكَشْفُ: **إزالةُ غطاءِ المُغَطَّى**، فالمقصودُ بكشف الشبهات: نقدُ ونقضُ وإزالةُ الإشكال الذي يكون من تلبيس المُلبِّسين فيما يتعلق بهذا الباب أو غيره.

➢ الشُّبهاتُ: **جمع شُبْهَةٍ، والشُّبْهَةُ حقيقتُها:** استدلالٌ ممزوجٌ بين الحقِّ والباطلِ، **وإنْ شِئْتَ فقُلْ**: هو الباطل الذي يُشبه الحقَّ، **وإنْ شِئْتَ فقُلْ**: هو الباطل في صورة الحقّ، **وإنْ شِئْتَ فقُلْ**: هو إلباسُ جسد الباطل لباس الحق.

كلُّ هذه التّعريفات تدورُ على معنًى واحدٍ، ألاَ وهو: أنَّ هناك استدلالًا يشُوبُ فيه المُبطلون الباطل بالحقِّ، فيكون ثمّة التباس، وهذا الالتباس والاشتباه هو السبب الذي يدعو إلى الإقبال على الباطل، وإلاّ فإنّ الباطل المحْض لا تُقبِل عليه النُّفوس.

ولذا لا تجد بدعةً من البدع عليها فئامٌ من النّاس إلاّ وفيها أو في مقالة أهلها حقٌّ وباطلٌ، هذا الحقّ الموجود في مقالتهم أو مقالاتهم هو السبب الذي جَلَبَ النَّاس والعامّة والجهّال والأغمار إلى هذه البدعة، وإلا فلو برزَتْ على النّاس في حقيقتها وأنّها باطلٌ محضٌ لم يُزَخْرِفْ ويوشَّ بشيء من الحقّ، فإنّهُ لن تُقبل عليه النفوس، وهذا مما يدلُّكَ على خطرِها، فهذا اللّبس الذي يقوم به أهل البدع والضّلال هو أعظمُ أسلحتهم التي تَفْتِكُ بعقائد الناس وأديانهم، والله سبحانه

وتعالى قد نهى عن ذلك؛ ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة:٤٢]، فلبْسُ الحقِّ بالباطل هو حقيقة إيراد هذه الشبهات ، سواءً ما تعلّق منها بباب توحيد العبادة، أو في باب توحيد الأسماء والصفات، أو في القدر، أو في النبوة، أو حتى في العبادة، أو في غير ذلك من أبواب الدين.

❑ إذن هذه هي الشبهة، وغايةُ أهلها الصدُّ عن الحقِّ وأهله. لماذا تُورَد الشبهات؟ لماذا تُركَّب؟ لماذا تُساق وتُبرز للناس؟ الغاية من ذلك والهدف إنما هو الصدُّ عن الحق وأهله.

وتعظم المحنة بهذه الشُّبَه إذا أُحسِن سَبْكها، إذا سيقت للنَّاس في عبارات مزخرفة ومحلاّة، وأُحسِن رصفُ كلماتها، فإنَّ الفتنة بها ستكون فتنةً عظيمة.

فإذا انضاف إلى هذا أن أُضيفت المقالة أو الشُبهة إلى نبيهٍ ذي مكانةٍ وقدرٍ في النَّاس، وله فيهم لسانُ صدق، فإنَّ الفتنة تعظم وتعظم بهذه الشبهة، وكم أُضيف إلى العلماء باطلٌ بسبب هذا المسلك؛ وهو أنَّه أُضيف إليهم مقالةٌ لا تصحُّ عنهم، أو أنها حُمِلَتْ على غير محملها، أو أن تكون زلة من الزلاّت، فإنَّ آحاد العلماء ليسوا معصومين.

المقصودُ أنَّ الباطل إذا حُلِّيَ بشيءٍ من الحقِّ، ثم أُحسن سَبْكُهُ، ثم أُضيف إلى شخصٍ نبيهٍ في الأمّة، فإنّ هذا سيكون له أثرٌ كبير. ولذا؛ الرافضة جاؤوا إلى الجاحظ الأديب المشهور، وهذه قصة أوردها الإسفراييني في «التبصير في الدين» جاؤوا إليه لأجل أن ينتحل لهم بعض الكلام الذي يُروِّجونه على العامة، لأجل

أن يُقبلوا إلى بدعتهم، فطلب منهم أن يُمهلوه - والجاحظ من الأدباء البارعين، من ذوي الأساليب والأقلام- فطلب أن يُمهلوه لينظر في قالتهم، فلما عادوا إليه قال: ما وجدتُ لكم شيئًا أتصرف فيه، كلامٌ غُثاء ليس هناك مجال إلى أن أُحسِّن لكم شيئًا لكي يروج على الناس، لكنّي أُوصيكم بوصيّة وهي: أنكم إذا أردتم أن تُشيعوا شيئًا في الناس فانسبوه إلى جعفر الصادق، كلما أردتم أن تُروِّجوا شيئًا بين الناس فانسبوه إلى جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قولوا: جعفر يقول كذا، يقول أبو عبد الله كذا وكذا، وهذا الذي جَرَوْا عليه في كثير من مُصنفاتهم. فكم كذبوا على جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى إنَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (ما كُذب على أحدٍ ما كُذب على جعفرٍ الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ) [٢].

فإذا انضاف إلى هذه الأمور الثلاثة أمرٌ رابع: وهو أنْ سيقت هذه الشبهة ومعها تشويه للحقِّ وأهله، في أعطاف سَوق الشبهة؛ يُشوَّه الحق، ويُشوَّه أهله، وتُضاف إليهم كل سَوْءَةٍ تنفر منها الأسماع والقلوب، فحينئذٍ تستحكم المحنة، إلا أن يمنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ بعونه وتوفيقه فيسلم الإنسان من هذه الورطة، وإلا فكثير من الناس يقع في هذه الهُوَّة نظرًا لجهله، وكثيرٌ من الناس إنما يقفون عند الألفاظ، وتبهرهم زخارفها، دون أن يكون منهم غوص إلى الحقائق والمعاني.

المقصودُ -يا إخوتاه- أنَّ الشبهة شأنها عظيم، وخطرها جسيم، وهي في الحقيقة مادّةُ الباطل، ودهليز الشرِّ، والمرقاة إلى كلِّ ضلال، فما ضلَّ من ضلَّ غالبًا إلا بسبب شُبهة، إذا وردت إلى القلب واسْتحْكمت فيه فعلت به الأفاعيل،

---

[٢] مجموع الفتاوى (٤/٧٨).

وإلا فهل ارتدَّ أو ألحد أو تنصَّر، أو انحرف إلى طُرق أهل البدع، أو سلَّ السيف على هذه الأمة، أو غير ذلك من هذه المقالات إلا بسبب شُبهة وردت إلى النُّفوس!! هذا الذي يقع -مع الأسف الشديد- غالبًا.

وعظُمت البليّة بالشبهات في هذا الزمان أكثر؛ الشبهات في السابق كانت ذات أثر، وكان العلماء يُكثرون من التّحذير منها، لكن الأمر اليوم تفاقم تفاقُمًا عظيمًا فصارت السِّمة لهذا العصر الذي نعيش فيه مع الأسف الشديد هي انتشار الشبهات بين الناس ورواجها، مع وجود وسائل التواصل والاتصال الحديثة اليوم الناس أصبحوا في قريةٍ واحدة، فالذي يتكلَّم في أقصى الشَّرق يسمعه من في أقصى الغرب في اللّحظة نفسها، إذا عطس مُسلمٌ في أقصى الصين يُشمِّته رجلٌ في المدينة، يُمكن له نفس اللحظة يُشمِّتُهُ.

الشُّبهة -مقالة باطلة، تغريدة، مقطع من المقاطع، مقالة في إحدى هذه الوسائل- في الساعة الواحدة تصل إلى الآلاف المؤلفة من البشر، بل ربما يصل عدد مشاهديها ومتابعيها إلى الملايين في الساعة الواحدة!!

في السابق لم يكن الأمر كذلك، يعني الذين روَّجوا لهذه الشبهات التي أجاب عنها الشيخ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف روَّجوها؟ كتبوها في أوراق، ولم يكن ثمة مطابع، وتناولها بعض دُعاتهم، وصار يُحدِّث بها هنا وهنا، أو يرسلها إلى فلان، فصار هناك تأثر، لكن حدِّثني إذا أردت أن تُقارن بين انتشار تلك الشبهات في ذاك الزمان، وانتشار الشبهات نفسها اليوم من خلال وسائل التواصل، كيف ستكون النتيجة؟

ليس هناك مقارنة، وهذا مما يدعو إلى أن يتنبّه طلاّبُ العلم في أنفسهم وفي غيرهم إلى خطر الشبهات، وإلى أن يُحْسنوا التّعامل معها، وإلى أن يُحسنوا تأصيل المنهج الشّرعيّ في التّعامل مع الشُّبهات.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: المَنْهَجُ الشَّرْعِيُّ الوَاجِبُ مَعَ الشُّبُهَاتِ:

❑ والمنهجُ الشّرعيُّ الواجبُ مع الشبهات؛ الكلامُ فيه ينقسم إلى قسمين:

۞ **الأَوَّلُ:** ما يتعلّق بالعامّيِّ.

۞ **والثّاني:** ما يتعلّق بالعالِمِ، أو طالبِ العلمِ الرّاسخِ.

وَاجِبُ العَامّيِ نَحْوَ الشُّبُهَاتِ:

❑ **أمّا العامّيُّ؛ فله حالتان:** ۞ **الحالة الأولى: حالةُ العافية.**

۞ **الحالة الثانية: حالةُ الابتلاء.**

۞ **الحالة الأولى: حالةُ العافيةِ من هذه الشبهة؛** ما وصلت ولا ولجت إلى قلبه، ما الذي ينبغي إذا طرقت بابه؟

⊂ **الواجبُ هو:** أن يهجُرها، وأن يُعرِض عنها تمام الإعراض، هذا واجبٌ شرعيٌّ مُتحتِّمٌ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:٥]. والنبي ﷺ يقول كما في «الصحيح»[٣]: (**وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**)، وهذا الذي تحتويه هذه الشبهة لا شك أنه مما نهى الله عنه.

فإنّ شُبهات الضّالين ما هي إلا قولٌ على الله بغير علم، ولبسٌ للحقِّ بالباطل، فهي مما نهى الله سبحانه وتعالى عنه قطعًا، إذن واجبٌ هُجرانه، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام:٦٨]؛ (أَعْرِضْ): فعل أمر، والأمر يقتضي الوجوب، واللهِ واجبٌ عليك يا عبد الله أن تُعرِض. ونبينا ﷺ يقول كما في «الصحيحين»[٤]: (**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**)، أيضًا فعل أمر يقتضي الوجوب، هذا أمرُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ الواجب

---

[٣] البخاري (١٠، ٦٤٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

[٤] البخاري (٤٥٤٧)، مسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الاتّباع. إذن لا خيار لك يا أيها المسلم في أن تُعرِض وتبتعدَ، وهذه هي الشجاعة.

بعض الناس يظنُّ أنّ هذا خوَر وجُبن وضعف، لا والله؛ هذه هي الشّجاعة العقلية المحمودة، هذا دليل قوة الإيمان؛ لأنَّ الإيمان عندك غالٍ وثمين. فأنت أحرص ما تكون على أن تُحافظ عليه، ولذا تنأى بسمعك وقلبك عن أنْ يَقَرَّ فيه شيء من الباطل، وهذا نهج السلف رحمهم الله، والآثار في هذا كثيرة.

إذن في حالة العافية منها ينبغي للإنسان أن ينأى، وأن يبتعد، وألا يُمِّكن منها سمعه وقلبه، فما يُدريه لربما ولجتْ ولم تخرج، ولرُبَّمَا صَرَعَتْهُ وهو يظنُّ أنّه قويٌّ، ولو نظرت في أحوال النّاس لوجدْتَ من هذا نماذج كثيرة في السَّابقِ واللاَّحقِ.

۞ **الحالة الثانية: في حال الابتلاء:** وهذا يقع كثيرًا مع الأسف الشديد، تأتيه رسالةٌ من رسائل هذه البرامج، أو يقع على مقطع، أو يقرأ تغريدة، دون أن يكون منه قصد إلى مطالعة الباطل، وإذا بالشبهة قد دخلت إلى قلبه وبدأت تُؤثِّر فيه، فما الذي ينبغي عليه أن يفعل حينئذٍ؟

الجوابُ: الذي ينبغي أن يفعل أمام ذلك سبعة أمور:

۞ **أوّلًا: على من ابتُلي بها أن يقوى ولا يضعف، وأن يثبت ولا يسقط ولا يهتزَّ**؛ فأنت قد وفّقك الله إلى الحقّ، إلى التّوحيد، إلى اتّباع السنة، لا ينبغي أن تعصف بك كلُّ شاردة وواردة، هذه شبهة وتبقى شبهة، وتزول بتوفيق الله ﷻ وإعانته، فلا تكن ضعيف القلب يؤثر فيك كل شيء، كُنْ قويًّا متماسكًا، **واعلم أنّ**

ورود الشبهة لا يعني صحّتها، وليس مُجرد وجودها دليلًا على صحّتها، ولا حُسن سبكها أمارةً على صدقها، ولا عدمُ علمك بالجواب عنها ليس دليلًا على انتفاء وجود الجواب، إذن عليك أن تكون قويًا متماسكًا أمامها.

۞ **الأمر الثاني: اللَّجأ إلى الله سبحانه وتعالى بصدقٍ وإخْباتٍ**؛ عجِّل بهذا، فإنّ الهداية بيد الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يهدي من يشاء، وهو الذي يُضلُّ من يشاء جلّ ربُّنا وعزّ، فاطلب الهداية مِمَّنْ أزِمَّة الأمور بيديه، والهداية والإضلال منه سبحانه وتعالى، الجأ إلى الله بصدق وأبشر بالخير، فإنّ الله يهدي من أناب، ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧].

إن صدقت الله صدقك الله وأزال عن قلبك ما اعتراه، وحذارِ من أن تتكاسل في هذا الأمر، تظنُّ أنّ هذا الأمر سهلٌ وماذا يعني أن الشبهة تقع في القلب؟!!

كم من الناس من وقعت في نفسه الشبهة، لكن ما دعا الله بصدق بإزالتها، ربّما ما دعا أصلًا، أو دعا بقلبٍ غافل، وربما يتعلّقُ قلبه بالعلماء وطلبة العلم لكي يُزيلوا هذه الشبهة عن قلبه أكثر من تعلُّقِه بالله سبحانه وتعالى، وهذا من ضعف الإيمان والتوحيد، فالأمر كله بيد الله، والخير كله منه سبحانه وتعالى، فاجعل فقرك واحتياجك إلى الله سبحانه وتعالى، والجأ إليه بصدق واضطرار، وأبشر بالخير، لن يخذلك الله، فهو الكريم الرحيم سبحانه وتعالى.

۞ **الأمر الثالث: عليك ألاّ تسترسل معها، وألا تُكثر تقليبها في قلبك**، بعض الناس إذا سمع بشبهة وبدأت تؤثر في قلبه، يبدأ بالنظر فيها، وتحليلها، وتطويرها،

والتّفريع عليها، ويجد الشيطان مدخلًا عليه من هذا الجانب، وإذا بالحبّة تُصبح قُبّة، وما هكذا المنهج الشرعي، عليك أن تُخمدها بعدم الاسترسال فيها، فلربما كانت عارضًا ووسوسةً من الشيطان، وتزول عن قريب بإذن الله سبحانه وتعالى.

۞ **الأمر الرابع: إيّاك أن تحكيها لأحدٍ؛** لا تنشرها عند جلسائك، لا تكن سببًا في أن يتضرّر غيرُك كما تضرّرت، من الخطأ إذا جاءت الشبهة يكتب الإنسان في مجموعة يدخلها الصغير والكبير، ويقول: يا إخوة ما جواب هذا الإشكال، أنا أشكل عليَّ الأمر، هذا لا يصلح، بهذا الأمر أنت تجعل الباطل يروج، إنَّما عليك أن تسكت عن حكايتها لغيرك.

۞ **الأمر الخامس: عليك أن تذهب إلى الأطباء تطلب العلاج،** لو أُصِبْتَ في بدنك بقليل أو كثير بادرتَ مُباشرةً إلى الأطباء، وهذا لا بأس به حسن، لكن ما يُصيب قلبك أخطر، وضرره أعظم، وهؤلاء الأطباء هم العلماء وطلبة العلم الراسخون، فعليك أن تذهب إليهم، وأن تطلب منهم الجواب الشافي، ونبيك ﷺ قد قال: (**إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**)[٥]، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء:٨٣]، أولو الأمر هنا: هم العلماء، ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٤٣]، فاذهبْ إلى عالم أو طالب علم معاصر مُتمكن تظن أنّ عنده قُدرة على جوابك عنها، وإزالة هذه الشبهة.

۞ **الأمر السادس: مهما يكن من شيء، فعليك أن تستمسك بالأصول، وأن**

---

[٥] رواه أبو داود في سننه (٣٣٦) وحسّنه الألباني رحمه الله.

ترجع إلى القواعد، وأن تردَّ المُتشابه إلى المُحكم؛ فهذا دواءٌ نافعٌ جدًا.

۞ الأمر السابع والأخير: تمسّك بالجواب المجمل على كل شبهة. ما هو هذا الجواب المجمل؟

هذا الجواب المجمل هو: معرفتُك للحقِّ كافية في معرفة بطلان ما خالفه، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢] أي: أنه لا يلزم لمعرفة بطلان الشبهة معرفة ما ينقضها على وجه التفصيل، إنما يكفي معرفة أنها شيء يُعارض الحق. بمعنى: الباطل يعرف من طريقين، من خلال معرفة القادح الناقد الذي يبطل الباطل، وهناك طريق أخرى، وهي أن تعرف الحق.

إذن كلّ ما ناقض الحق فهو باطل، وعليه فإذا أتاني مُلَبِّس بشبهة تتعلّقُ بالربوبية، بالنبوة، بالقرآن، بالسنة، بالأحكام، وأنا لا أعرف جوابها، سأقول له وأنا مطمئن: أنت أتيتني بشيء أنا لا أعرف جوابه تفصيلًا، هو عندي مُشتبه، ولا مشكلة في أن يبقى مشتبهًا، لكنّني أقطع أنه باطل، والدليل أنّه مُعارض للحقِّ، ولا يمكن أن يكون شيء معارضا للحق إلا وهو باطل، هذا هو الجواب المجمل النافع.

هذا في حقِّ العامي أو المُبتدئ؛ هذا هو المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه.

وَاجِبُ العَالِمِ أَوْ طَالِبِ العِلْمِ الرَّاسِخِ نَحْوَ الشُّبُهَاتِ:

❑ **أما بالنسبة للعلماء وطلبة العلم الراسخين: فإنّ المُتعيَّن في حقِّهم أنْ ينهضوا إلى كشف هذه الشبهة ونقضها مع مراعاة الحكمة في ذلك**، عليهم أن يزنوا المقام بميزانٍ أدقَّ من ميزان الذهب، ثم يُرجِّحوا المصلحة في ذلك، ثم ينهضوا بتوفيق الله سبحانه وتعالى إلى نقدها، كما فعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه ما وقف وقال: لا حاجة، المُهم أن نُبين الحق ونمضي، ولا حاجة إلى كشف الشبهات. هذا ليس بصحيح.

بل هذا من الجهاد المُتعين على القادر عليه الذي لا تكون الكفايةُ إلا بقيامِهِ، هذا مُتعيّن عليه، ونبيك ﷺ قد قال كما في «سنن أبي داود»[٦] و«مسند الإمام أحمد»[٧] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي ﷺ قال: (**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**)؛ هذا جهاد اللسان الذي ينبغي أن يجتهد ويحرص القادرون المُحصِّلون عليه، لا يفوتهم ثواب الله سبحانه وتعالى فيه.

هنيئًا لمن وفَّقه الله عَزَّ وَجَلَّ لِيَذُبَّ عن دين الله، وعن كتابه، وعن سنة رسوله ﷺ، وهذا لا شكّ أنّه من الجدال المحمود الذي قد يتعيّن ويكون في حُكم الفرض، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [العنكبوت:٤٦]، وهذه سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ**

---

[٦] أبو داود (٢٥٠٤).

[٧] أحمد (١٢٢٤٦، ١٢٥٥٥، ١٣٦٣٨).

﴿جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود:٣٢]، كان يُجادلهم وأكثرَ من جدالهم عليه الصلاة والسلام. وهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم الذين هداهم الله ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فالرد والبيان وتفكيك هذه الشبه هذا من المهمات، والأسلوب يختلف محلّ اجتهاد، الأسلوب والطريقة والوسيلة في الجواب والردّ هذا يختلف، قد يكون بكتاب، قد يكون بوسائل التواصل، قد يكون بمقطعٍ مسموع إلى آخر ما هنالك من هذه الوسائل.

لولا أنَّ الله سبحانه وتعالى قد وفَّق وقيَّض علماء السنة والتّوحيد لبيان الحق وإجابة الشبهات، خبِّروني كيف سيكون الحال بعد أكثر من ألفٍ وأربعمائة عام؟ لو قدَّرنا أنه في كل سنة دخل على المسلمين بدعة أو بدعتان أو ثلاث، وزُيِّن في الناس شُبهة أو شبهتان أو ثلاث، تتعلق بالتوحيد، بالقرآن، بالسنة، كيف سيكون الحال بعد ألف وأربعمائة سنة؟ سيكون الدِّين دينًا مُشَوَّهًا، ربّما لا يبقى مما أُنزِل على محمدٍ ﷺ كما هو إلا القليل -إن بقي-، لكنَّ الله سبحانه وتعالى قد قيَّض لهذا الدين أولئك الرجال الصالحين الذين انتدبوا لهذا الجهاد العظيم، وصاروا ممن يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، وينفون عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تحريف الجاهلين وانتحال المُبطلين، فمن كان من هؤلاء فعليه أن يحرص على ألا يفوته فضل الله ﷻ، وأن يُصيب من هذا الخير بسهم إن كان من أهل القُدرة عليه.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: حُكْمُ نَشْرِ الشُّبُهَاتِ وَإِذَاعَتِهَا بَيْنَ النَّاسِ؟

❑ **وعندنا مسألة: قد يرِد تساؤل أو استشكال يتعلق بها، وهي مسألة: نشر الشبهات وإذاعتها في الناس، فهل يُستحسَن أن نبيِّن للنَّاس الشُّبهة، أو أنْ نسكت عنها وأن نُعرض عن بيانها؟**

➢ **فإنّ من الناس من يقول:** لا ينبغي أن يُخبَر الناس بالشبهة، أميتوا الباطل بعدم ذكره، كذا يقولون، ويُشدّدون في هذا المقام، أنه لا ينبغي أن يُذكر للناس الباطل ولا يُورد، وإنّما علينا أن نُبين الحق، وأن نُميت الباطل بعدم ذِكره.

➢ **ومن الناس من يتوسّع في هذا المقام،** فأيُّ باطل، وأيُّ شبهة، وأيُّ كلامٍ هو من جملة الباطل، صغُر أو كبُر، فإنه يبثُّه في الناس وينشره ويقول: انظروا ماذا يقول فلان، وهل سمعتم ما قال فلان؟ وماذا خرج من الكتب والمصنفات من فلان؟ وإلى آخره.

❍ **فما هو الصواب في هذا المقام؟ هل إماتتها؟ أو التعريف بها؟ أو نشرُها؟**

الذي يظهر -والله تعالى أعلم- أنّ الواجب هاهنا التفصيل:

➢ **فتارةً تكون الحِكمة في أن يُمات الباطل بإخمال ذِكره، وإخمال ذِكر قائله،** والإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ قد قال كلمة حسنة في مُقدمة «صحيح مسلم»؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذِ الإِعْرَاضُ عَنِ الْقَوْلِ الْمُطَّرَحِ أَحْرَى لإِمَاتَتِهِ وَإِخْمَالِ ذِكْرِ قَائِلِهِ»؛ فهذا مسلكٌ

صحيح في محلِّه، والمسلك الآخر صحيحٌ في محلِّه.

عدمُ ذِكر الشبهة، وعدمُ التنبيه عليها، وغضِّ الطرف عن الكلام فيها؛ هذا مُتعيّن في حال ما إذا كانت الشبهة وكان الباطل مغمورًا خاملًا لم ينتشر في الناس، ولا يكاد يسمع به أحد، فضلًا عن أن يتأثر به أحد؛ ففي هذه الحالة ينبغي أن يُسلَك هذا المسلَك؛ وهو أن تُعرض عن ذِكر الشبهة، ولا تتكلم بها، وإنما أمِتها بعدم ذِكرها.

➢ **أمَّا إذا انتشرت الشبهة وكان لها رواجٌ في الجملة،** فإنّ الذي ينبغي التنبيه عليها في مقام الرد عليها؛ تُذكر لأنّ من لازم ردِّها ذِكرها، كيف تردُّ وكيف تنقد وتنقض شيئًا مجهولًا؟ لابد أن تُذكر، وبالتالي كان ذكرها مُتعينًا لا ذِكرًا مُجردًا، وإنما في مقام الردِّ والنَّقد.

ولكن هذا لابد أن يكون مُنضبطًا وضوابطه ستة، لابد أن يُلاحظ في هذا المقام هذه الضوابط الستة:

۞ **أوّلًا: أن تكون** -كما قدَّمتُ- **مُنتشرةً بالفعل**، تكون موجودة، ولها تأثير، ولها رواج، والمُتكلِّم بها قد أشاعها في الناس، وصارتْ قالةً بينهم؛ فمثل هذه مما ينبغي أن تُذكر فيُحذَّر منها، ومن تلبيس المُلبسين المنحرفين أنهم قد يُشيعون في الناس الجملة السابقة، وهي: «أميتوا الباطل بعدم ذكره»، ومُرادهم أن تسكت الناس عنهم، وهم يشتغلون بترويجها في الناس، فلربما رفعوا هذه الراية من بعض أتباعهم وجنودهم؛ لأجل أن يُفسح المجال لهم ويسكت أهل الحق عن بيان

باطلهم، ولاشك أن هذا مخالفٌ للمنهج الشرعي، وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيها ذِكر شُبه ومقالاتٍ باطلة، ولكن مع بيان بُطلانها بأحسن بيان.

۞ **الأمر الثاني: أنْ يسبِقها تأصيلُ الحقِّ**؛ المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ -كما سمعت- كتب هذه الرسالة، وبثها وحثَّ على أن تُقرأ على العامة، لكن متى كان هذا؟ بعد أن انتشرت الدعوة، بعد أن كثُر الكلام في التوحيد في الناس، بعد أن كانت الأصول الثلاثة في نجدٍ يُحفَّظها الناس، كانت تُقرأ عليهم ويحفظونها بعد الفجر وبعد المغرب كل يوم، كان كتاب التوحيد يُدرَّس ويُعلَّم كل وقت، كل المساجد مشغولة ببيان التوحيد، فمن المهم أن يُلاحظ هذا الأمر: وهو أن **التّنبيه على الباطل مع الردِّ عليه لابد أن يسبقه تأصيلُ الحق وبيانه**؛ حتى يكون بيان الباطل في محلِّه.

۞ **الأمر الثالث: أنْ يتصدّى للردِّ على الشبهات المُتأهِّلُ لهذا المقام**؛ عالمٌ، طالبُ علمٍ مُتمكِّن عنده قدرة علمية على أن يرد، فهذا الذي ينبغي أن يكون.

أما الجاهل فليس له أن يخوض في هذا المضمار ألبتة، ليس المقام مقامه، ولا هذا مضماره، إنما يتصدى لكشف الشبه المتأهلون لذلك من أهل العلم.

۞ **الأمر الرابع: لابُدَّ أن يكون الردُّ على الشُّبهة قويًّا مُحكمًا**، بحيثُ أنّ أنواره تُزيل كل ظلمةٍ في القلب كانت منه، الذي لا يقوم بهذا وإنما يرد على هذه الشبهة من طرف القلم -كما يقولون- أو من رأس القلم، بكلمات مقتضبة لا تشفي ولا تروي، مثل هذا ما أدى حقّ الإسلام عليه، ولا حصل بكلامه الشفاء، إنما ينبغي

أن يكون الرد في غاية الإحكام والقوة، لا من جهة الأسلوب ولا من جهة المادة العلمية، فهذه من المهمات التي ينبغي العنايةُ بها.

۞ الأمر الخامس: ملاحظة المصلحة في مسألة الإجمال أو التفصيل في ذِكر الشبهة، فإنّ هذا المقام يحتاج إلى فقه. هل المصلحة تقتضي أن تُجمل في ذِكر الشبهة، أو أن تُفصِّل القول فيها، وأن تُجليها، وأن تُبين مستندها، وتُطيل الكلام في ذلك، ثم تُعقب على هذا الرد عليها؟ هذا المقام فيه تفصيل:

➢ **إنْ كان كشفُ الشبهات يُخاطَب به العامة والمبتدئون،** فينبغي أن يكون بيان الشبهة بيانًا مُجملًا، وهذا الذي سار عليه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة كما سترى إن شاء الله، فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يُجْمِل في الشبهة، وليس أنه يُفصلُ بيانها، لم يكن منه هذا الأمر.

➢ **وأما في مقام كشف الشبهات المخاطَب به المتخصِّصُون** - كُتب متخصِّصة ورسائل متخصِّصة في غالب الظنّ لن يطَّلع عليها ولن يُقبِل عليها إلا أُناس متخصِّصُون- **أو أن تكون موجَّهة إلى الضالِّين أنفسِهم وإلى أتباعهم**؛ في هذه الحال ينبغي أن يكون عرض الشبهةِ مُفصَّلًا، ولذا؛ لو قارنت بين كشف الشبهات هذه الرسالة التي بين أيدينا، وبين الكتب المطولة التي كتبها أئمة الدعوة مثل: «كشف ما ألقاه إبليس» للشيخ عبد الرحمن بن حسن، أو «مصباح الظلام»، أو «منهاج التأسيس والتقديس» للشيخ عبد اللطيف، أو «الصواعق المرسلة الشهابية»، أو «الضياء الشارق» كلاهما للشيخ ابن سحمان، لو نظرت في هذه المدوّنات الكبيرة تجد أن الشُّبه كانت فيها مُفصَّلة، فيها تتبُّع لمقالة هؤلاء

الضالّين المردود عليهم، ثم يُعقِب هذا الرد المفصَّل الشافي.

إذن لابد من ملاحظة هذا الأمر، فإنّ من الناس من إذا ردّ أحسن إيراد الشبهة، وفصَّل فيها، ثم جاء الجواب مُقتضبًا مُجملًا؛ وهذا لا شكَّ أنه خطأٌ كبير، وربما ترتّب عليه مفسدةٌ عظيمة.

۞ **الأمر السادس: لابد أن يكون الردُّ على الشبهةِ عقيب إيرادها مباشرة،** ولا يصحُّ تأخير هذا، لا ينبغي أن تكون الشبهة نقدًا، وأن يكون الجواب نسيئةً، هذا من الخطأ الكبير، بل لابُدَّ أن تُتْبِع -يا أيها الرادُّ والكاشفُ للشبهة- الردَّ عقيب إيرادك الشبهة ولا تؤخر ذلك.

بعضُ الناس ربما تكلّم أو كتب قال: (مما يبثه أهل الضلال كذا وكذا ، أو مما يقول المبطلون كيت وكيت، وهذا كلام باطل وسيأتي الردُّ عليه لاحقًا، وإن شاء الله في مجلسٍ آخر سوفَ نرد على هذه الشبهة)، تجد أنه نشر داءً وأثار شُبهة ربما تقع في القلوب ولم يُعالجها؛ هذا لاشك أنّه خطأ، بل الذي ينبغي ، وهذا الذي ترى أهل العلم سائرين عليه، لو نظرت في كلام عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لو نظرت في كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان التلبيس»، في «المنهاج»، في غيرها من كتب الردود عند شيخ الإسلام، في كتب أئمة الدعوة رحمهم الله، تجد أنه يقول قال فلان وقال المُبطل أو قال الضال فلان كذا وكذا، والردُّ عليه من وجوه ؛ واحد اثنين ثلاثة أربعة، هكذا ينبغي أن يكون كشف الشبهات يا طلاب العلم.

۞ الأمر السابع والأخير: إن كان الحوار حوارًا خاصًا مع من سأل عن شُبهة، فينبغي التّفريق بين الإنسان السليم وبين المصاب بمرض نفسي أو وسواس قهري.

فإنه بالتتبع والممارسة اتّضح أنّ كثيرًا من الشبهات والإشكالات يسأل عنها أُناس عندهم مشكلة نفسيّة أصلًا، ومن عنده مشكلة نفسية ربما لا يحتاج إلى علم يزيل الشبهة، بقدر حاجته إلى علاج نفسي.

هذا ما يتعلَّق بالضوابط المتعلقة بهذا الموضوع.

نسأل الله ﷻ أن يُعيذنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل. والله أعلم.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.